ميزات الكائنات الذاتية كيف تقسّمها إلى خمسة أقسام؟

تصنيف الكون على أساس ميزات الكائنات الذاتية أو الكمالات المختلفة

يقال فى تعريف **الكمال** أو **الميزة الذاتية** أنه توجد **مواهب محتملة** في جميع الكائنات مما تسبب أفضلية الكائنات أو ضعفها على بعضها البعض. كما ذكرنا مسبقا فإنّ **الكمال** أو **الميزة الذاتية** تختلف عن الفضيلة خلافاً للرأي السائد. و بما أن نوع **الكمال** يختلف في الموجودات حسب مكانتها في العالم، إذن يمكن أن تكون **الميزة الذاتية في الكائنات** الحية معيارا لتصنيفها.

بناء على هذا الأساس يمكن **تصنيف الكائنات** إلى **خمسة فئات** من أدنى رتبة إلى أعلى رتبة من حيث **الكمالات**: الجمادات والنباتات والحيوانات والملائكة والإنسان. فالجمادات هي في المرتبة الدنيا، والإنسان هو في قمة التسلسل إذ أنه يتمتع بأعلى مراتب الكمال. في حين أنّ الحياة في عالم متنوع كهذا لها ميزاتها ولذاتها الخاصة إلا أن هذا التنوع قد يؤدّي إلى الحيرة والغفلة. إننا نواجه كائنات مختلفة ونتعامل معها ليلاً ونهاراً ولكننا نادرا ما نهتم وننتبه إلى ميزاتها الذاتية، وعلاقتها ببعضها البعض، ومرتبتها في العالم، وعلاقتها بنا.

ميزات الجمادات الذاتية

نحن نتعامل في حياتنا مع جمادات وأشياء محيطة بنا من جميع الجهات سواء كانت أحجاراً نسير عليها أو أدوات ومعدات نستخدمها يوميا أو المنزل الذي نعيش فيه، فإنّها جميعاً مصنوعة من المادة. وإذا نظرنا بعناية إلى هذه الأشياء، سندرك أنّ لكل منها ميزات مشتركة تسمى "**الكمالات الذاتية للكائنات الجامدة**". وتشمل هذه **الكمالات** الوزن والحجم واللون والرائحة والخواص العنصرية. من اللافت للنظر أننا إذا أولينا المزيد من الاهتمام، سندرك أنّ هذه **الميزات** موجودة في أجسامنا المادية

أيضا. بالتالي، نستطيع الادعاء أن الجانب المادي من وجود الإنسان يحتوي على كمالات جمادية تتوفر في بقية الكائنات الجمادية.

الميزة الذاتية للكائنات النباتية

في هذا التصنيف تحتل النباتات الطبقة الثانية، إذ أن لها **ميزات ذاتية** أكثر تطورا من الجمادات، حيث أنها تمتلك الميزات الجمادية كالوزن واللون والرائحة، بالإضافة إلى الكمالات النباتية مثل اللطافة والجمال والنمو والتغذية والتكاثر والإحساس والقدرة على تحصين أجزائها الضعيفة من خلال النمو والتغذية. تُصنَّف كل هذه **الميزات** في فئة الكمالات النباتية، وكلّما انشغل الإنسان بهذا النوع من الكمالات، مثلاً عند محاولته أن يصبح أجمل أو يفوز ببطولة العالم في رياضة معينة، فإنّه لا يحصل إلّا على إحدى الكمالات النباتية. لذا فإنّ الجمال وامتلاك المسكن الجميل والجسم الرشيق والقدرة على الإنجاب وظواهر أخرى كلها تعدّ جزءا من كمالاتنا النباتية.

الميزة الذاتية للكائنات الحيوانية

عند النظر الى عالم الحيوانات يتبين أنها تمتلك **الميزات الجمادية والنباتية** إلى جانب ميزات أخرى لاتحملها الجمادات والنباتات، منها: الغريزة وأنواع الشهوات والزواج والتعهد وقبول المسؤولية والسعي لرفاهية العائلة والترفيه واختيار المسكن وخدمة الغير. ومن ميزاتها الأخرى الغضب الذي تحمي به عائلتها ونفسها، و العيش ضمن حياة اجتماعية واكتساب مراتب اجتماعية حيث يمكنها الوصول من الرتب السفلى إلى أعلى رتبة حتى سمة قيادة المجموعة. بل ويمكن أن نضيف إلى تلك الميزات الوفاء والأمانة والحياء والنجابة والعطف. بعبارة أخرى، كل ميزة وكمال نمتلكه، إذا لوحظ في الحيوانات فإنه يخرج من نطاق **الكمالات الانسانية** و يُعتبر من فئة **الكمالات الحيوانية**.

العقل ميزة ذاتية للكائنات غيرالمادية أو الملائكة

المرتبة التالية من **الكمالات** هي **الكمالات العقلية**، والتي تتعلق بمجال العقل والعلم والمعرفة ولا يمتلكها سوى الإنسان والملائكة، وبعبارة أخرى، فإن جهودنا العلمية وقدرتنا على التفكير والتحليل كل منها جزء من كمالاتنا العقلية.

وأما العقل والذي يعتبر سمة ذاتية للكائنات المجردة غير المادية أو الملائكة، ونطلق عليه باختصار "الكمال العقلي"، فيتمتع بحيادية ذاتية، ووفقا للجزء الذي يخدمه من الوجود الإنساني، فإنه قد يلعب دورا سلبيا أو إيجابيا في سعادته أو تعاسته. ومن البديهي أيضًا أن عدد المهتمين بالحصول إلى الكمالات العقلية ليس بكثير.

الميزة الذاتية للإنسان أو الكمالات الإنسانية

لقد ذكرنا كل ما سبق، لكي يصل الأمر بنا إلى "**الإنسان**". إن شرح الأبعاد الوجودية للإنسان هام جداً و يتطلب مقالة أخرى. مع ذلك، دعونا نسلط الضوء بإيجاز على فكرة أنّ الكائنات متطورة و متكاملة أكثر شيئا فشيئا حسب رتبتها في التسلسل الذي ذكرناه. فنرى أن النباتات تمتلك **كمالات جمادية** ونباتية، والحيوانات تحمل الكمالات الجمادية والنباتية والحيوانية، والإنسانُ فهو جماد ونبات وحيوان ومَلَك كلها معا، إلّا أنه في نفس الوقت ليس جمادا أو نباتا أو حيوانا أو ملكا!

وفي الواقع فإن جميع الكمالات الجمادية والنباتيّة والحيوانية والعقلية هي مقدمة وأداة لوصول الإنسان إلى كمالاته الإنسانية، وإلا فإننا لن نستطيع الادعاء بالإنسانية إلا بتنشيط الكمالات الإنسانيّة الكامنة فينا.

ولكن، ماهي تلك الكمالات أو الميزات الذاتية للإنسان؟

لقد درسنا في هذه المقالة **أنواع الكمالات** في الكائنات المختلفة في العالم، وقلنا أن الكائنات تتجه نحو الكمال خطوة فخطوة وتكتسب الكمالات التي ما قبلها، والإنسان في حين أنه يمتلك كمالات الجمادات والنباتات والحيوانات والملائكة إلا أنه ليس أيًا منها! وما يميّزه عن سائر الكائنات هو كمالاته الإنسانيّة والحقيقية التي سنتطرق إليها في الدروس الآتية.